ب ۝ س ِم ٱ ه لِلَّ ٱ ل ه ر ۝ ح َ م ٰ ـ ن ٱ ل ه ر ح ِ ى م ﴾ [ا ل ف ا ت ح ة ١]القول في تأويل ﴿بسم الله الرحمن ِ ﴿
الرحيم﴾القول في تأويل قوله: ﴿ ب ْس ِم﴾قال أبو جعفر: إن الله تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه أدّب نبيه محمدًا صلى الله عليه
وسلم بتعليمه تقدي َم ذكر أسمائه وتقدَّم إليه في َوصفه بها قبل جميع ُمه ّماته، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلَّمه إياه، فبه افتتاح
أوائل منطقهم ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: "بسم الله"، على من بطن من مراده
الذي هو محذوف.وذلك أن الباء من "بسم الله" مقتضية فعلا يكون لها جال ًبا، فأغنت سام َع
القائل"بسماله"معرفتُهبمرادقائله،عناظهارقائلذلكُمرادَهقولاإذكانكلناطقبهعند افتتاحه أم ًرا، قد أحض َر منطقُه به ــ إ ّما معه، وإ ّما
قبله بلا ف ْصل ــ ما قد أغنى سا ِم َعه عن دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قيلَه به . فصار استغنا ُء سامع ذلك منه عن
إظهار ما حذف منه، نظي َر استغنائه ــ إذا سمع قائلا قيل له: ما أكلت اليوم؟ فقال: "طعا ًما" ــ عن أن يك ّرر المسؤُو ُل مع قوله
"طعا ًما"، لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه ، بتقدُّم مسألة السائل إياه عما أكل. فمعقول إذًا أ ّن قول القائل إذا قال:
"بسم الله الرحمن الرحيم" ثم افتتح تال ًيا سورةً، أن إتباعه "بسم الله الرحمن الرحيم" تلاوةَ السورة،ُينبئ عن معنى قوله: "بسم الله
الرحمن الرحيم" ومفهو ٌم به أنه مريد بذلك: أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. وكذلك قوله: "بسم الله" عند نهوضه للقيام أو عند قعوده
وسائر أفعاله، ينبئ عن معنى مراده بقوله "بسم الله"، وأنه أراد ب ِق ِي له "بسم الله"، هو معنى قول ابن عباس الذي:ــ١٣٨ ــ حدثنا
به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بش ُر بن ُع َمارة، قُل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم" ثم قال:
"قل بسم الله الرحمن الرحيم". قال: قال له جبريل: قل بسم الله يا محمد، يقول: اقرأ بذكر الله ربك، وقم واقعد بذكر الله.قال أبو
جعفر: فإن قال لنا قائل: فإن كان تأوي ُل قوله "بسم الله" ما وصف َت، والجال ُب البا َء في
"بسماله"ماذكر َت،أوأقومأوأقعدباسماله؟وقد علم َت أن ك ّل قارئ كتا َب الله، فب َع ْون الله وتوفيقه قراءتُه، وأن كل قائم أو
قاعد أو فاعل فعلا فبالله قيا ُمه وقعودُه وفعلُه. و َهلا ــ إذْ كان ذلك كذلك ــ قيل "بسم الله الرحمن الرحيم" ولم َيقُل "بسم الله"؟
فإن قول القائل: أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم، أو أقرأ بالله ــ أوض ُح معنى لسامعه من قوله "بسم الله"، إذ كان قوله أقوم
"أقوم أو أقعد باسم الله"، يوهم سام َعه أن قيامه وقعوده بمعنى غ ي ِر الله . وبالله التوفيق: إن المقصو َد إليه من معنى ذلك غي ُر
ما توهَّمته في نفسك. وإنما معنى قوله "بسم الله": أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو أقوم وأقعد بتسميتي َالله وذك ره ــ لا أنه
يعني ب ِق ِي له "بسم الله": أقوم بالله، فيكو َن قو ُل القائل: أقرأ بالله، أو أقوم أو أقعد بالله ــ أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله
"بسم الله".فإنقال:فإنكانالأمرفيذلكعلىماوصف َت، وأن التسمية مصد ٌر من
قولك َس ّميت؟قيل:إنالعر َبقدتخرجالمصاد َرمبهمةًعلىأسماءمختلفة،وإنما بنا ُء مصدر "أفعل ُت" ــ إذا أخرج على فعله ــ "الإفعا ُل".
وبناء مصدر: "ف ّعلت" التفعيل.وبعد َع َطائ َكالمئَةالرِّتا َعا(وإنكا َنهذاالُب ْخ ُلمْنك َسجية.لقدكُن ُتفي َطولِي َر َجاء َكأَ ْش َعبَا ومنه
قول الآخر: أَظُلَيُمإنَّم َصاَبكمرُجلا. والشواهد في هذا المعنى تكثُ ُر،فإذ كان الأمر ــ على ما وصفنا، من إخراج العرب مصاد َر
الأفعال على غير بناء أفعالها ــ وكان تصديرها إياها على مخارج الأسماء موجودًا فاش ًيا ، فب ّي َن بذلك صوا ُب ما قلنا
من ِ التأويل في قول القائل "بسم الله"، أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول: أبدأ بتسمية الله،وكذلك معنى قول القائل عند
ابتدائه بتلاوة القرآن: "بسم الله الرحمن الرحيم"، إنما معناه: أقرأ مبتدئًا بتسمية الله، أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله. ف ُج عل
"الاس ُم" مكان التسمية، والعطا ُء مكان الإعطاء. قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن ُع َمارة، قال: حدثنا أبو َر ْوق،
قال: أ ّول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال: "يا محمد، قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم"، ثم قال:
"قل: بسم الله الرحمن الرحيم". قال ابن عباس: "بسم الله"، يقول له جبري ُل: يا محمد، وقم واقعد بذكر الله.وهذا التأويل من ابن
عباس ينبئ عن صحة ما قلنا ــ من أنه يراد بقول القائل مفتت ًحا قراءته: "بسمالله الرحمن الرحيم": أقرأ بتسمية الله وذكره،
وأفتتح القراءة بتسمية الله، بأسمائه الحسنى وصفاته ال ُعلَى ــ ويوضح فَسا َد قول من زعم أن معنى ذلك من قائله: بالله الرحمن
الرحيم أ ّو ل ك ّل شيء ، مع أن العباد إنما أُ مروا أن يبتدئوا عند فواتح أمو رهم بتسمية الله، كالذي أُ مروا به من التسمية على
الذبائح وال ّصيد، وعند ال َمطعم وال َمشرب، وكذلك الذي أُ مروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم
وكتبهم.ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة، أن قائلا لو قال عند تذكيته بعض بهائم الأنعام) "بالله"، أنه مخالف ــ بتركه ق ِي َل:
"بسم الله" ما ُس ّن له عند التذكية من القول. وقد ُعلم بذلك أنه لم ُي ِردْ بقوله "بسم الله" "بالله"، كما قال الزاعم أن اس َم الله في
قول الله: "بسم الله الرحمن الرحيم" هو الله. لوجب أن يكون القائل عند تذكيته ذبيحتَه "بالله"، قائلا ما ُس ّن له من القول على
الذبيحة. وفي إجماع الجميع على أ ّن قائ َل ذلك تارك ما ُس ّن له من القول على ذبيحته ــ إذْ لم يقل "بسم الله" ــ دلي ٌل واضح

Summarized by © lakhasly.com

على فساد ما ادَّعى من التأويل في قول القائل: "بسم الله"،وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم: أهُوَ المسمى، أم هو صفة له؟ فنطيل الكتاب به، وإنما هذا موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله: أهو اس ٌم، أم مصدر بمعنى التسمية ؟ فإن قال قائل: فما أنت قائ ٌل في بيت لبيد بن ربيعة:ومن َيْب ِك َحْولاكاملافقَداعتَذَ ْر فقدتأوله ُمقدَّمفيالعلمبلغةالعرب،وأناسَمالسلامهوالسلام؟ قيلله:لوجازذلكوصحتأويلهفيهعلىماتأول، وفي إجماع جميع العرب على إحالة ذلك ما ينبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد: "ث ّم اسم السلام عليكما"، وا ِدّعائه أن إدخال الاسم في ذلك وإضافتَه إلى السلام إنما جاز، إذ كان اسم المس ّمى هو المس ّمى بعينه.وُيسأل القائلون قو َل من حكينا قولَه هذا، فيقال لهم: أتستجيزون في العربية أن يقال: "أكل ُت اس َم العسل"، كما جاز عندكم: اسم السلام عليك،فإن قالوا: نعم! خرجوا من لسان العرب، وأجازوا في لغتها ما تخ ِطئُه جميع العرب في لغتها.وإن قالوا: لا سئلوا الفر َق بينهما: فلن يقولوا في أحدهما قولا إلا ألزموا في الآخر مثله. فإن قال لنا قائل: فما معنى قول لبيد هذا عندك؟قيل له: يحتمل ذلك وجهين، كلاهما غير الذي قاله من حكينا قوله.أحدُهما: أن "السلام" اس ٌم من أسماء الله، فجائز أن يكون لبيد عنَى بقوله: "ثم اسم السلام ثم الزما اس َم الله وذك َره بعد ذلك، وَد َعا ذكري والبكا َء عل َّي؛ على وجه الإغراء. إذ أ ّخر الحر َف الذي يأتي بمعنى الإغراء.١٧) وقد تف َع ُل العرب ذلك، إذا أ ّخرت الإغراء وقدمت ال ُم ْغ َ َرى به، وإن كانت قد تنص ُب به وهو مؤ َّخر. ومن ذلك قول الشاعر:يا أيُّها المائ ُح َدل ِوي دُونَكا! .فأغ َرى ب "دونك"، فذلك قول لبيد: * إلى الح ْو ِل، أي: الزما ذكر الله ودعا ذكري والوج َد بي، لأن من بكى َح ْولا على امرئ ميّت فقد اعتذر. فهذا أحد وجهيه.والوجه الآخر منهما: ثم تسميتي َالله عليكما، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه: "اسم الله عليك" يعوذه بذلك من السوء،ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا إلى أ ّن معناه: ثم السلام عليكما، أت َرى ما قلنا ـ من هذين الوجهين ـ أو غي َر ما قل َت فيه؟ فإنقال:لا!أبانمقدا َرهمنالعلمبتصاريف ُوجوهكلامالعرب،قيلله:فمابرهانكعلىصحةماادَّعيتمنالتأويلأنهالصوا ُب،ـ من الوجه الذي يلزمنا تسليمه لك؟ ولا سبيل إلى ذلك.١٤٠ ـ حدثنا به إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك [وهو يلقب عن ابن مسعود ـ و ِم ْس َع ِر بن ِك َدام، عن أبي سعيد ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عيسى ابن مريم أسلمته أ ُّمه إلى الكتَّاب ليع لّمه، فقال له المعلم: اكتب "بسم" فقال له عيسى: وما "بسم"؟ فقال له المعلم: ما أدري! فقال عيسى: الباء بهاُء الله،٢٠) ف أ خ ش ى أ ْن ي ك و ن غ ل ًط ا م ن ا ل م ح ِد ّ ث ، و أ ن ي ك و ن أ ر ا د [ب س م] ، ع ل ى س ب ي ل م ا ي ع ل ّ م ا ل م ب ت د ئ م ن الصبيان في الكتّاب حروف أبي جاد، لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تُلي "بسم الله الرحمن الرحيم"، على ما يتلوه القارئ في كتاب الله، لاستحالة معناه على المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها،القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿الل َّّ﴾ قال أبو جعفر: وأما تأويل قول الله تعالى ذكره "الله"، فإنه على معنى ما ُروي لنا عن عبد الله بن عباسـ: هو الذي َيألَهه كل شيء،١٤١ ـ وذلك أ ّن أبا كريب حدثنا، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن ُع َمارة، قال: حدثنا أبو َر ْوق، قال: "الله" ذو الألوهية وال َم ْعبودية على خلقه أجمعين.فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في "فعل ويفعل" أصل كان منه بنا ُء هذا الاسم؟قيل: أ ّما سما ًعا من العرب فلا ولكن استدلالا.فإن قال: وما د ّل على أن الألوهية هي العبادة، وأ ّن له أصلا في "فعل ويفعل".قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل(٢٢) ـ يصف رجلا بعبادة، ويطلب مما عند الله جل ذكره: "تألَّه فلان" ـ بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج:لله َد ُّر الغا نيات ال ُمدَّ ِه(٢٣) َسبَّ ْح َن وا ْستَ ْر َج ْع َن من تَأَلُّ ِهييعني: من تعبدي وطلبي َالله بعملي. التف ُّعل من: "أَلَه يأله"، وأن معنى "أله" ـ إذا نُطق به:ـ َع َب َد َالله. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه ب "فعل يفعل" بغير زيادة.١٤٢ ـ وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، عن ابن عباس: أنه قرأ ﴿ َو َيذَ َر َك وإلا َهتَ َك﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتَك، ويقال: إنه كان ُيع َبد ولا َيع ُبد. قال: حدثنا ابن ُعيينة، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن ابن عباس: ﴿ َو َيذَ َر َك وإلا َهتَك﴾ ، قال: إنما كان فرعو ُن ُيع َبد ولا َيع ُبد(٢٤)١٤٤ ـ حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين بن داود، عن مجاهد: قوله "ويذ َر َك وإلاهتك" قال: وعبادتك(٢٥) ولا شك أن الإلاهة ـ على ما فسره ابن عباس ومجاهد ـ مصد ٌر من قول القائل: أَلَه َالله فلا ٌن إلاهةً، كما يقال: َع َبد الله فلا ٌن عبادةً، و َع َب َر الرؤيا عبارةً. فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أ ّن "أله" َعبد، وأن "الإلاهة" مصد ُره.فإن قال: فإن كان جائ ًزا أن يقال لمن عبد الله: ألهه ـ على تأويل قول ابن عباس ومجاهد ـ فكيف الواج ُب في ذلك أن يقال، إذا أراد المخبر الخب َر عن استيجاب الله ذلك على َع ْبده؟ قيل: أما الروايةُ فلا رواية فيه عندنا، ولكن الواجب ـ على قياس ما جاء به الخب ُر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي:ـ ١٤٥ ـ حدثنا به إسماعيل بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن العلاء، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عمن حدثه عن ابن مسعود ـ و ِم ْس َعر بن ِك َدام، عن أبي سعيد ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إ ّن عيسى أسل َمتْه أمه إلى الكتّاب ليعلّمه"فقال له المعلم اكتب "الله"

Summarized by © lakhasly.com

فقال له عيسى: "أتدري ما الله؟ الله إلهُ الآلهة(٢٦) الله جل جلاله ألَ َه العب َد، وأ ْن يكون قو ُل القائل "الله" ـ من كلام العرب أصله "الإله".فإن قال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك، مع اختلاف لفظيهما؟قيل: كما جاز أن يكون قوله: ﴿ل ِك َّن هُو اللهُ ربِّي﴾ [سورة الكهف: ٣٨] أصله: لكن أنا،ربي، كما قال الشاعر: وت َ ْقلينَني،يريد: لكن أنا إياك لا أقلي، فحذَف الهمزة من "أنا" فالتقت نون "أنا" "ونون "لك ْن" وهي ساكنة، فأدغمت في نون "أنا" فصارتا نونًا مشددة. فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة،وصفنا من قول الله ﴿لك َّن ه َو الله َربي﴾والعربكثيًراماتبني الأسماء من "ف َع ِل ي ْف َعل" على "فعلان"، ومن َعطش: عطشان. فكذلك قولهم "َرحمن" من َر ِح َم، وقيل "رحيم"، ومن شأن العرب أن يحملوا أبنيةالأسماء ـ إذا كان فيها مدح أو ذم ـ على "فعيل"، وإن كانت عين "فعل" منها مكسورةً أو مفتوحةً، كما قالوا من "علم" عالم وعليم، ومن "ق َدر" قادر وقدير. وليس ذلك منها بناء على أفعالها، لأن البناء من "ف َع ِل ي ْف َعل" و "ف َعل يف ِعل" فاع ٌل. فلو كان "الرحمن والرحيم" خارجين عن بناء أفعالهما لكانت صورتهما "الراحم".فإن قال قائل: فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجهُ تكرير ذلك، وأحدهما مؤدّ عن معنى الآخر؟

قيلله:ليسالأمرفيذلكعلىماظنن َت،بللكلكلمةمنهمامعنىلاتؤديالأخرىمنهما عنها.فإن قال: وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة منهما،قيل: أما من جهة العربية، أ َّن قول القائل:"الرحمن" ـ عن أبنية الأسماء من "ف َع ِل يف َعل" ـ أشدُّ عدولا من قوله "ال َّرحيم". ولا خلاف مع ذلكبينهم،أ َّنكلاسمكانلهأصلفي"فَع َليف َعل"–ثمكانعنأصلهمن"فَعليف َع ُل"أشد عدولا ـ أ َّن الموصوف به مف َّضل على الموصوف بالاسم المبني على أصله من "ف َع ِل يف َعل"، إذا كانت التسمية به مد ًحا أو ذ ًّما. فهذا ما في قول القائل "الرحمن"،وأما من جهة الأثر والخبر، ففيه بين أهل التأويل اختلاف:ـ١٤٦ ـ فحدثني السري بن يحيى التميمي، قال: حدثنا عثمان بن زفر، قال: سمعت ال َع ْر َزمي يقول: "الرحمن الرحيم"، ال َّرحيم، قال: بالمؤمنين.٣٠) ١٤٧ ـ حدثنا إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء، عمن حدثه، عن عطية ال َعوفي،٣١) وتسميته باسمه الذي هو "رحيم"، واختلاف معنى الكلمتين ـ وإن اختلفا في معنى ذلك الفرق، فد ّل أحدهما على أ َّن ذلك في الدنيا، ود ّل الآخر على أنه في الآخرة.فإن قال: فأي هذين التأويلين أولى عندك بالصحة؟ قيل: لجميعهما عندنا في الصحة مخرج، فلا وجه لقول قائل: أيُّهما أولى بالصحة؟ وذلك أ َّن المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن، وأنه بالتسمية وإما في بعض الأحوال.في الدنيا كان ذلك أو في الآخرة،لطف بهم من توفيقه إياهم لطاعته، مما ُخ ذل وكان مع ذلك قد جع َل،وعمل بطاعته، دون من أشرك وكفر به ـ(٣٢) كان بيّنًا إن الله قد خص المؤمنين من ِ مع ما قد ع َّمهم به والكفا َر في الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم، وسائر النعم التي لا تُحصى، فربُّنا جل ثناؤه رحم ُن جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحي ُم المؤمنين خاصةً في الدنيا والآخرة. فأما الذي ع َّم جمي َعهم به في الدنيا من رحمته فكان َرحمانًا لهم به، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه، وسورة النحل: ١٨] . فالذي ع َّم جميعهم به فيها من رحمته، فكان لهم رحمانًا، تسويته بين جميعهم جل ذك ُره في َعدله وقضائه، فلا يظلم أحدًا منهم مثقال ذَ َّرة، وإن تَ ُك حسنةً ُيضاعفها و ُيؤ ِت من لَ ُد ْنهُ أج ًرا عظيما، فذلك معنى عمومه في الآخرة جمي َعهم برحمته،وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته، كما قال جل ذكره: ﴿ و َكا َن بِا ْل ُم ْؤ ِم نِي َن َر ِحي ًما﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣] فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم، فخ َّصهم به، دو َن من خذَله من أهل الكفر به.وأ َّما ما خ َّصهم به في الآخرة، فكان به رحيما لهم دون الكافرين، فما وصفنا آنفًا مما أعدَّ لهم دون غيرهم من النعيم، والكرامة التي تقص ُر عنها الأمان ّي.وأما القول الآخر في تأويله فهو ما:ـ١٤٨ ـ حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب.٣٣) وكذلك أسماؤه كلها. يدل على أن الذي به ربُّنا رحمن، وإن كان لقوله "الرحمن" من المعنى، ما ليس لقوله "الرحيم". لأنه جعل معنى "الرحمن" بمعنى الرقيق على من ر َّق عليه، ومعنى "الرحيم" بمعنى الرفيق بمن رفق به.والقول الذي رويناه في تأويل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرناه عن الع ْر َزمي(٣٤) ، أشبه بتأويله من هذا القول الذي رويناه عن ابن عباس. وإن كان هذا القول موافقًا معناه معنى ذلك، وأن للرحيم تأويلا غي َر تأويل الرحمن.والقول الثالث في تأويل ذلك ما:ـ١٤٩ ـ حدثني به عمران بن بَ َّكار الكلاعي، قال: حدثنا يحيى بن صالح، قال: حدثنا أبو الأزهر نصر بن عمرو اللَّخمي من أه ل فلَ ْسطين،والذي أراد، إن شاء الله، عطا ٌء بقوله هذا: أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتس َّمى بها أحد من َخ ْل قه، فلما تس َّمى به الكذا ُب مسيلمة ـ وهو اختزاله إياه، غيره ج ّل ذكره. وإنماي ت س َّ م ى ب ع ُض خ ْ ل ق ه إ م ا ر ح ي م ا ، أ و ي ت س َّ م ى َ ر ح م ن . ف ل م ي ج ت م ع ا ق ّ ط لأ ح د س و ا ُ ه ، بين اسمه واسم غيره من خل قه، اختلف معناهما أو اتفقا. بل جائز أن يكون ج ّل ثناؤه خ ّص نفسه بالتسمية بهما م ًعا مجتمعين، ليعرف عبادُه بذكرهما مجموعي ِن أنه المقصود بذكرهما دون َم ْن سواه من خلقه، مع َما في تأويل كل واحد

منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما. ولم يكن ذلك في لغتها(٣٦) ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [سورة الفرقان: ٦٠] ، إنكارًا منهم لهذا الاسم، كأنه كان محالا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته، أو: لا وكأنه لم يتْلُ من كتاب الله قول الله ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ ـ يعني محمدًا ـ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ﴾وقدأنشدلبعضَ الجاهليةَ الجهلاء: ألا قَضب الرحمُن ربّي يمينَها(٣٧)عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا عَجِلْنَا عَلَيْكُمْ . . . وَمَا يَشإِالرَّحْمنُ يَعْقِدْوَيُطْلِقِ (٣٩)وقد زعم أيضًا بعضُ من ضعُفت معرفتُه بتأويل أهل التأويل، وقلت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير، أنّ "الرحمن" مجازه: ذو الرحمة، و "الرحيم" مجازه: الرّاحم(٤٠) ، ثم قال: قد يقدّرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد، وذلك لاتساع الكلام عندهم. قال: وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا: ندمان ونَديم،ونَدْمان يزيدُ الكأسَ طيبًا، .. سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ(٤١) والرحيم الراحم، وإن كان قد ترك بيان تأويل معنَيَيْهما على صحته. ثم مثّل ذلك باللفظين يأتيان بمعنى واحد، فعاد إلى ما قد جعله بمعنيين، وصحَّ أنها له صفة؛ وأن الراحم هو أو قد رحم فانقضى ذلك منه،ولا دلالة له فيه حينئذ أن الرحمة له صفة، كالدلالة على أنها له صفة، إذا وُصف بأنه ذو الرحمة. فأين معنى "الرحمن الرحيم" على تأويله، على اسمه الذي هو "الرحمن"،أنيقدّمواسمه، وهذا هو الواجب في الحُكم: أن يكون الاسم مقدَّمًا قبل نعته وصفَته، ليعلم السامع الخبَر، عمَّن الخبر. فإذا كان ذلك كذلك ـ وكان لله جَلّ ذكره أسماء قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بها، خَصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثلُ "الله" و "الرحمن" و "الخالق"؛ وأسماءٌ أباَح لهم أن يُسمّيَ بعضهم بعضًا بها، وذلك: كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء ـ كان الواجب أن تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامعُ ذلكَ مَنْ توَّجه إليه الحمد والتمجيدُ، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توَّجه إليه ما يتلو ذلك من المعاني. لا من جهة التسّمي به، ولا من جهة المعنى. وذلك أنا قد بينَّا أن معنى "الله" تعالى ذكره المعبود(٤٢) ، ولا معبودَ غيرُه جل جلاله، وأن التسّمي به قد حّرمه الله جل ثناؤه، وإن قصد المتسمِّي به ما يقصد المتسمِّي بسعيد وهو شقي، وبحَسن وهو قبيح.

أولاترىأنّاللهجّلجلالهقالفيغيرآيةمنكتابه:﴿أَإِلَهٌ مَعَ الله﴾فاستكبرذلكمنالمقِّربه، إذ كان قدمَنع أيضًاخلقه التسمي به، وإن كان من خَلْقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه. وذلك أنه قد يجوز وْصف كثير مّمن هو دون الله من خلقه، ببعض صفات الرحمة. وغير جائز أن يستحق بعَض الألوهية أحد دونه. فلذلك جاء الرحمن ثانيًا لاسمه الذي هو "الله".وأما اسمه الذي هو"الرحيم" فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وْصف غيره به. فهذا وجه تقديم اسم الله الذي هو "الله"، واسمه الذي هو "الرحمن" على (اسمه الذي هو "الرحيم".٤٣) أنه من أسماء الله التي مَنَع التسمَي بها العبادَ.٤٤) عن عوف، قال: "الرحمن" اسٌم ممنوع.٤٥

Summarized by © lakhasly.com